الأهرام

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: المصور

التاريخ : ١٩٧٥/١١/٧

المسيرة الطويلة
من
الهزيمة إلى النصر

خمس سنوات مع السادات

الرجل الذى أحال هزائمنا إلى انتصارات

● فى الحلقة السابقة من هذه الدراسة تحدثت عن العامل الهام ، والجوهرى الذى كان ولا يزال وراء انتصاراتنا فى ميادين القتال ، وفى ميادين التغيير ، والتصحيح ، والتعمير ، وأعنى بذلك العامل ، الاهتمام الشخصى للرئيس انور السادات بالانسان المصرى ، فلقد اولى الرئيس السادات كل عنايته ، ورعايته واهتمامه ، وجعل من تقدمه ، وراحته وطمانينته على نفسه ، وولده ، وماله ، ورأيه ، وغده ومستقبله ، حجر الزاوية فى نظام الحكم ، والانسان المصرى فى رأى الرئيس السادات هو فى النهاية هدف التقدم ، وهو فى البداية وسيلة هذا التقدم ، وهو نفسه ـ اى الانسان المصرى الضمان لان ننطلق الى الرحلة التى لا مفر منها الى المستقبل العريض اخذين باحدث معطيات العصر ، فى شتى المجالات دون ما خشية من أن نفقد خلال هذه الرحلة هويتنا او ننقطع عن اصالتنا او ننسى الفضائل التى كان هذا الشعب دائما يعتز بها وبمجدها ..

ولست اذكر حديثا خاصا ، او عاما للرئيس انور السادات فى مصر ، او فى خارج مصر خلا من الاشادة بما يحمله الانسان المصرى فى اعماقه من قيم حضارية عمرها سبعة الاف سنة ، حضارات تنهض بالانسان المصرى ، وتكبو ، تنطلق وتنقطع ، تتغير وتتجدد ، ولكن الشعب ـ شعب مصر الاصيل ـ كان يعرف فى النهاية دائما كيف يخرج من تلك الامتحانات كلها محتفظا بخصائصه الاصيلة وفطرته الصافية السليمة .

والرئيس السادات ـ كما يعرف جيدا كل من عاصر اشتغاله بالعمل الوطنى ـ عاشق لمصر ، لتاريخها كله ، قديمه ، وحديثه ، متيم بشعب مصر كله على امتداد سبعة الاف سنة ، والرئيس السادات يرى دائما ان فى مقدمة صفات هذا الشعب تمسكه بالايمان ، واعتزازه بالاصالة . والايمان الذى يشير اليه الرئيس السادات دائما هو ذلك الايمان الخالص البرىء من التعصب والتطهر من تلك الشوائب التى علقت بجوهره فى عصور الاضمحلال ، البعيد عما ينسب اليه زورا من روح التواكل التى لا تعرف المسئولية ، والتعلق بالخرافات ، ونفى ارادة الانسان وارادة المجتمع فى ان يواجه حياته المتجددة مستعينا بما اودعه الله فيه من عقل ميزه به عن سائر المخلوقات

ويرى الرئيس السادات ، ان التمسك بالاصالة لايسد امامنا باب التجديد كما ان التجديد الجذرى ليس بالضرورة منقطع الجذور عن التراب القومى ، والحضارى للشعب كما ان انطلاقنا من هذه الجذور يحمل بالنسبة لنا وبالنسبة لغيرنا ذلك التنوع فى الحضارات والشخصيات الذى يثرى بتعدده العالم، ويغنى تجاربه .

والذى لاجدال فيه ان سر قوة الانسان المصرى وقدرته العجيبة على تغلبه على الغزاة ، والفاتحين والمستغلين وتمكنه دائما من اداء ادواره التاريخية الخطيرة فى ظروف بالغة اقصى درجات الشدة ، والعنف ، والتعقيد انما يعود بالدرجة الاولى الى شدة تمسك الانسان المصرى بالقيم الروحية والاخلاقية التى هى فى نفس الوقت من ابرز السمات الاصيلة لحضارتنا

والذى لاجدال فيه ايضا ان خصوم شعبنا عندما ارادوا التغلب عليه وسلبه كل مقومات الحياة الحرة الكريمة عمدوا ، الى محاولات ابعاد شعبنا عن قيمه الروحية والاخلاقية فجعلوا الشر هو الاصل ، والخير هو الاستثناء ، جعلوا الشعارات المرفوعة ، والمنفذة عمليا هى شعارات المزيد من الحقد والمزيد من المرارة: لقد كاد مجتمعنا الطيب الاصيل فى فترة من الفترات يتحول الى غابة من الضابات لا يحكمها الا قانون المنفعة الشخصية ولا تسرى فيها الا سلو جاز استخدام

هذا التعبير ـ قواعد التملق وانعدام الاخلاق والتخلص الى ابعد الحدود ، من كل العواطف ، والمشاعر الانسانية : اذكر مثلا ـ والذكرى فى حد ذاتها تكاد تقطع نياط القلب ـ ان بعض المواطنين المصريين الذين كانوا يصومون رمضان ، ويؤدون الصلاة فى أوقاتها كانوا يتظاهرون بالافطار وترك الصلاة حتى لا يتهموا بالتخلف الذى يؤدى بهم الى الاستغناء عن خدماتهم ، وان بعض المواطنين المصريين كانوا يترددون على الكباريهات وعلب الليل لا للاستمتاع بما فيها من «مناظر عارية» ولكن ليبعدوا عن انفسهم تهم التقوى ، والايمان !

واذكر ايضا ـ والادلة كثيرة ومتعددة ـ ان البعض كانوا يغرون بالمال ، والنفوذ والجاه بعض ذوى النفوس الضعيفة لا ليتجسسوا على زملائهم ورفقائهم واصدقائهم ومحبيهم وحسب بل ليتجسسوا على آبائهم وامهاتهم وزوجاتهم وازواجهم ، واذكر ايضا ـ والوثائق موجودة ـ ان البعض كان يلقن شبابنا فى حلوان وفى غير حلوان ان القيم الروحية ، والقيم الاخلاقية من بين الخرافات التى يجب التخلص منها والتى يجب الا يتصف بها اى شاب واع مثقف !!

ولقد مرت فترات كان الحريصون فيها على مستقبل هذا الشعب وحاضره لا يخشون على البلاد من اى احتلال اجنبى فكل احتلال اجنبى مصيره دائما الى الزوال بل كانوا يخشون ان يقطع شعبنا كل صلة تربطه باى قيم روحية واخلاقية ذلك لانه فى تلك الحالة ـ حالة قطع الصلات بالقيم الروحية والاخلاقية ـ يفقد شعبنا كل مقومات حياته ، وقد كان كثيرون ممن يتميزون ببعد النظر ورجاحة الفكر يتوقعون انهيارا سريعا فى المجتمع الذى لايستطيع ان يقوم الا على بعض الدعائم فى مقدمتها الدعائم الروحية والاخلاقية وقد توقع هؤلاء هزيمتنا قبل ان تقع فى يونيو ١٩٦٧ : لقد وقعت تلك الهزيمة فى قلب الانسان المصرى وفى وجدانه قبل ان تقع على ارض سيناء . لقد فقدنا الكثير فى داخل نفوسنا فاصبح من السهل على عدونا ان يحتل ارضنا بعد ان افرغنا قلوبنا ، وعقولنا من كنوزها الاخلاقية والروحية

وقد كان ابرز دليل على حالة انعدام الاخلاق : ان قادتنا الذين يسيطرون على كل امورنا صغيرها وكبيرها لم يكونوا ـ وهم الزملاء ، والاصدقاء ، ورفاق القارب الواحد يثقون فى بعضهم بعضا : كان كل واحد منهم ـ مثلا ـ يسجل على الاخرين كل شاردة وواردة حتى ادق المسائل الشخصية البحتة ليستغل تسجيلاته فى الوقت المناسب للقضاء على بقية زملائه ، واصدقائه ، ورفاق القارب الواحد .

وقد كان من الطبيعى والمنطقى ان أول مايقدم عليه الرئيس انور السادات بعد أن أيده الله بنصره فى ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ وبعد أن وقف الشعب كله ـ فيما عدا حفنة ضئيلة لا تتجاوز مائتين ، أو ثلاثمائة فرد أن يقضى بكل مايملك من قوة وجهد وايمان على كل تلك الجرائم ، التى ارتكبت فى حق الانسان المصرى ، والمجتمع المصرى ، وأن يعيد الينا تلك القيم الاخلاقية والروحية التى كادت تصبح من الممنوعات .. وان يقيم ـ من جديد ـ مجتمعنا المصرى الاصيل الذى يسوده الحب والود ويسيطر عليه روح الاسرة الواحدة الطيبة ، الخالصة النقية. ذلك المجتمع الذى ينبذ الحقد ويكره المرارة ويمقت اية رغبة فى الانتقام ! وقد كان الرئيس السادات صريحا وواضحا ، وهو يقيم دعائم دولة العلم ، والايمان فهو ـ كما قال ذات مرة ـ لا يسمح ابدا بان يتسلق المتسلقون ، أو تتسلق مراكز القوى ، أو تتسلق النفوس المريضة للتحكم فى الناس واذلالهم . وهو يريد لشعبه الامن والطمانينة « تقرير انا لا آخذ به : لكل واحد ، الحق فى أن يدافع عن نفسه اذا ماجاء ضده اى تقرير ويرد ، لن يكون مصير اى فرد متعلقا بتقرير أو بكلام : كل انسان يدافع عن نفسه ويعرف هو ايه علشان كده كلنا نحس بالامن والطمانينة» وعلى ذكر حكاية التقارير ، اذكر واقعة خاصة : فى عام ١٩٦٢ وكنت وقتئذ سكرتيرا عاما لنقابة الصحفيين طبق على قرار العزل السياسى ويومها استقلت من سكرتارية النقابة ومن عضوية الجمعية العمومية ، لنقابة الصحفيين ومن دار الهلال اذ كنت يومئذ فى حالة نفسية سيئة للغاية فلقد واتانى قرار العزل وانا اتاهب لخوض معركة الانتخابات للمؤتمر القومى وكان كتابى « البناء الاشتراكى النظرية والتطبيق » من بين الكتب التى وزعت فيما بعد على اعضاء المؤتمر كوثيقة من وثائق المؤتمر وعند انعقاد المؤتمر لم تتح لى فرصة الاشتراك فيه لاننى معزول سياسيا » وعندما ذهب الزميل الاستاذ حسين فهمى نقيب الصحفيين وقتئذ للتحدث مع السيد زكريا محيى الدين رئيس لجنة التظلمات وقتئذ ، والسيد كمال الدين حسين عضو اللجنة فى شان موضوع التظلم الذى قدمه نقيب الصحفيين نيابة عنى قيل له : ان موقف فلان سيىء للغاية فلقد كتب سلسلة من المقالات ضد الثورة فى مارس ١٩٥٤ » وجاءنى حسين فهمى عاتبا على لاننى اخفيت عنه تلك الواقعة ، فلما اكدت له اننى لم اكتب حرفا واحدا ضد الثورة لا فى ازمة مارس ولا فى اية مناسبة من المناسبات عاد مرة اخرى للتحدث فى هذا الموضوع ،

وكم كانت المهزلة ، ان المقالات التى اتهمت بكتابتها هى لزميل اخر ، وقد كان التقرير الذى اعتمد عليه أمر العزل السياسى ، خاطئا مائة فى المائة ، وبعد البحث والتحرى ، والمواجهة ، واثبات كذب التقرير ، تم رفع العزل السياسى ، ولكن بعد ان خضت أعنف ازمة انسانية تعرضت لها فى حياتى

واذا كنت قد وجدت من يدافع عنى ضد بعض التقارير الكاذبة ، او المضللة فان عشرات بل مئات غيرى قد ضاع مستقبلهم بسبب ما فى التقارير الخاصة بهم من اكاذيب .

وبعد ان قضى الرئيس السادات على حكاية التقارير هذه ، وضرورة مواجهة كل مواطن بما هو منسوب اليه اهتم الرئيس السادات بموضوع المراقبة التليفونية واذكر ان الرئيس السادات وهو يحرق الاشرطة المسجلة فى فناء وزارة الداخلية قال : لقد اوقفت حكاية اشرطة التسجيل والفضائح عن طريق الاشرطة لكن مش عاوز الصحافة بكره تستغل عشان فضائح الناس وحرب اعصاب وابتزاز ومعارك نشهر فيها لا .. عملنا لازم يقوم زى مافلت لكم على أخلاقنا اللى خدناها من القرية الصبيب ، نعرف العيب ، ونعامل كل انسان بعمله ، وجل من لا يخطىء وجل اللى ماعندوش اخطاء ، احنا بشر ، نقوم نيجى راجل يخطىء فى حياة خاصة نيجى مدخلينها فى الحياة العامة ، ويبقى مجتمعنا مجتمع تشهير ، ومجتمع اشرطة تانى ومسك مسائل ، ناس يمسكوا حاجات على ناس . هل دى اخلاق القرية عندنا نمسك ذلة ونذل الناس ونستغل الناس ونقوله انا ماسكك .. وطلع المتامرين كل واحد فيهم ماسك على التانى ، ايه ده . علشان كده ، دستورنا لازم ينص على ميثاق اخلاقى وينقال كده باب الحريات والاخلاق » ويقول الرئيس السادات : اننى شعرت وانا اشارك فى حرق اشرطة التسجيل اننى احرق معها كل قيد على كل ملكة من ملكات شعبنا وافتح الطريق لكل واحد منا الى يسهم بنصيبه فى المعركة ، لانها معركة ارضنا جميعا ، وفى البناء . ان القرية المصرية التى تعتبر النواة لشعبنا المصرى ، زاخرة بالقيم العظيمة التى يمكن ان تكون هادية لنا على طريقنا

ومرة اخرى يقول الرئيس السادات : ليكن رائدنا دائما اننا عائلة واحدة ، وان افراد العائلة يمكن ان يختلفوا وان يتناقشوا ولكن تحت مظلة العائلة وليس تحت مظلة الصراع لان الهدف يجب ان يكون مصلحة مجموع العائلة وان الشعب قد شرفنى بان اكون كبيرا

لهذه العائلة فلن اسمح بهذا الصراع » ويستدرك الرئيس السادات قائلا : ولكن ذلك كله سيكون فى حدود سيادة القانون » ويشرح الرئيس السادات وجهة نظره فى موضوع الحوار فى اول اجتماع للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى ١١ اغسطس ١٩٧١ فيقول : الصراع دائما بالراى ، وبالحب وبدون حقد تحل مشاكلنا داخل تنظيمنا السياسى ، نتناقش فى كل امورنا ، بناخد كل القرارات فى مصير بلدنا : يناقش كل شىء بالحب ، وبدون حقد شخصى ، او حقد طبقى » وحول موضوع الحقد يقول الرئيس السادات : ان الحقد لا يبنى شيئا ، ولا يجد مكانا فى صفوف شعبنا الطيب ، ونحن لا نريد ان نحارب معارك فات اوانها ، وما زالت امامنا اخطر المعارك كلها : معركة المستقبل ، معركة البناء والتقدم : ان لكل مصرى موقعا من العمل فى هذه المرحلة الجديدة مرحلة العمل والانتاج مرحلة المجتمع المفتوح والمواطن الآمن .

ويقول الرئيس السادات وهو يدعو الشعب ، كل الشعب الى المشاركة فى كل امور : اريد مشاركة حقيقية لا اسمية ، اريد مشاركة حقيقة من كل هيئة وفئة من فئات الشعب : ان المهم بالنسبة للديمقراطية ان تتاح للجميع حرية التعبير ، والراى فى المشاركة: مشاركة فعلية وليست شكلية فى اتخاذ القرارات .

وحول حلّ المشاكل يقول الرئيس السادات اكثر من مرة : كل المشاكل عاوزين نحلها بالشعب مش بالاجراءات الاستثنائية . ويدعو الرئيس السادات اكثر من مرة الى الحب ، والود ، ونبذ الاحقاد . يقول مثلا فى لقائه بابناء الساحل الشمالى لمنطقة الحدود الغربية كل ما اوصيكم به ونحن نبنى مصر من جديد بعد السادس من اكتوبر ـ ان نرتفع على الحزازات والاحقاد ، ذلك لاننا يجب ان نبنى مصر ، بالحب وبالقيم التى تعودنا عليها سواء كان ذلك فى البادية ام فى المدينة اننا نكون عائلة واحدة وكل فرد فينا يشعر بشعور اخيه تماما كما حدث لاخوتكم واولادكم الذين عبروا القناة وحققوا المعجزات ولقد ادت قواتكم المسلحة واجبها فى الميدان ومازالت رابضة تؤدى واجبها على الوجه الاكمل لذلك اطالبكم اليوم بان تكون علاقاتنا علاقة الاسرة الواحدة تعرف القيم وتؤمن بالله ، ان الله اراد لنا ان تكون حياتنا على هذه الارض الشريفة . فلابد ان تكون حياتنا شريفة واذا حرصنا على هذه المعانى فان الله سيكون معنا وفى السادس من اكتوبر كانت يد الله فوق ايدينا جميعا . وعندما خاطب الرئيس السادات ، المعلمين فى يوم عيدهم قال لهم : علموا ابناء مصر ما علمت مصر ، ما علم شعبها الاصيل ، وتاريخها المشرف ،

ما علمت الاهرام ، وعلمت القرية : علموهم كل قيمة نبيلة وجليلة : علموهم ان الحياة قيم وان القيمة الكبرى في حياتنا هي الحب ، ان الحقد ، لا يبني شيئا ، وان الحب يبني كل شيء : افرسوا ، الحب في قلوب كل طفل ، وطفلة حتى ينمو مجتمع الحب ، والسلام ، علموهم ان لابديل عن العدل الاجتماعي، طريقا لمجتمع التحالف والسلام الاجتماعي وان مشاعل المعرفة تضيء ، ولا تحرق ، تبدد الظلام ، ولا تخلف الرماد . علموهم الحوار الحر الديمقراطي استكمالا لجوانب الحقيقة ، ووصولا الى الحقيقة وان الوقوف على احد شاطيء النهر لا يعني ان النهر ليس له شاطيء اخر ، فاية ما يلزمنا ان نمد البصر، لنرى ان للنهر شاطئين ، علموهم ان يؤمنوا بالراى والا يضيقوا بالراى الاخر ، وان الحوار يجب ان ينطلق دائما من واقع مصر ، وان يلتزم دائما بامال مصر . وعندما خاطب الرئيس السادات ابناءه وبناته اطفال مصر بمناسبة قيام منظمة الطلائع قال لهم : فليفتح وعيكم ايها الابناء ، ولتزدادوا وعيا ، كلما تقدمت بكم الايام، وليكن بناؤكم لهذا الوطن ايها الابناء ، على الحب ، والاخاء ، والتضحية والفداء حتى تكون ، حياتكم على هذه الارض قوية شريفة ، كما ارادها الله ، ولتكن روح الاسرة الواحدة خير حافظ لوحدة هذه الامة فاحرصوا على تقاليدنا الاسرية الاصيلة وتمسكوا بما علمتنا هذه الارض من اصالة وصلابة وايمان ، والاخذ ايها الابناء يقابله العطاء ، والحق يقابله الواجب . وينصح الاب انور السادات ابناءه وبناته بالوفاء : كونوا اوفياء لله ، الذى وهبكم هذا الوطن ، المقدس، ونعمة الحياة ، كونوا اوفياء للاهل ، والاباء، كونوا اوفياء للحق واوفياء للعهد .. كونوا اوفياء لثورتكم الام في يوليو ، وثورة التصحيح في مايو ، لتبنوا مصر ، بالعلم ، والايمان ، ولتظل مصر ، العربية بايديكم ، وبجهودكم وبعرقكم ارض الحق ، والقوة والجمال ..

ومنذ اليوم الاول الذى الت فيه القيادة للرئيس السادات وهو يولى شباب مصر ، اهمية بالغة ، لقد عاش انور السادات شبابه كله جنديا في سبيل تحرير مصر ، عاش السادات شبابه كله لمصر ، كلها ، فلا غرو ان يعتبر انور السادات كل شاب مصرى ابنا له ، وكل شابة مصرية ابنة له ، يعيش مشاكلهم ، كما كان يعيشها عندما كان شابا ، يسعى دائما ، الى توفير الخير والاستقرار لهم ، فالشباب عند السادات هو الغد ، وبمقدار ما استحق الغد من اهتمامنا بمقدار ما يجب ان يعطى للشباب اليوم ، والشباب عند انور السادات هو الغد ، وهو المستقبل معا واذا لم يلعب الشباب دوره كاملا في بناء الحاضر ، ضاع منا الحاضر ، والمستقبل .. الشباب عند انور السادات هو الامل الكبير الذى تتطلع اليه جماهير شعبنا وهو

السد الاعلى ، القادر على حماية مستقبل شعبنا وضمان حريته واستقراره ، ورفاهيته .. ومازلت حتى هذه اللحظة اذكر كلمة قالها الرئيس انور السادات امام المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى العربى فى ١٦ - ٢ - ٧٢ : اذا كان لى ان اضيف شيئا اخر فهو ان اقول امامكم وامام شعبنا : اننى واثق فى شبابنا لاننى واثق فى مستقبل شعبنا ، واذا فقدت هذه الثقة فى الشباب فمعنى ذلك الا اثق فى المستقبل وذلك ما ارفضه رفضا باتا ، وقاطعا، لان ايمانى بمصر ، وقدرها ومستقبلها لايلحقه ظل من شك ، واجدنى فى هذا اعمم الحكم والقول : ان اى شعب يفقد ايمانه بشبابه سوف يصبح شعبا لا عزة له ، شعبا اثر التوقف ، ليس عن التقدم فحسب بل عن مسيرة الحياة كلها .

بهذا الاسلوب الوطنى الرائع الذى يعتمد على الحب والود ، والصدق ، والوفاء عمل الرئيس السادات على بناء الحياة الجديدة فى مصر ، وعلى تلك الاسس الصريحة والواضحة ، الملتزمة ، بالقيم الاخلاقية والقيم الروحية راح السادات منذ سنوات خمس يعد لكثير من المعارك التى خضناها معارك ، التصحيح ، ومعارك التحرير ، ومعارك البناء ، وبهذا الاسلوب الثورى وبتلك الاسس القوية المتينة حققنا اروع الانتصارات فى كل ماخضناه من معارك بهذا الاسلوب وبتلك الاسس ، نسير فى الاتجاه السليم لتحقيق انتصارات اخرى ، اكبر واعظم فيما نحن بصدده من معارك .. سالنى شاب جامعى فى احدى المحاضرات عن اقوى سلاح استخدمه الرئيس السادات فى كل معاركه التى انتصر فيها فقلت على الفور « سلاح الايمان والاخلاق »

صبرى أبو المجد